ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Asst. Prof. Dr. Mohammed Redha Abdul Sattar Mohammed
College of Arts – Wasit University
Email: malawsi@uowasit.edu.iq

Keywords : Pattern, Cultural Criticism, Implicit Meaning, Masculine Culture, The Novel, Sabiliyat

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 24 Aug 2025
Accepted 7Sep2025
Available online 1 Oct 2025

Cultural Patterns in the Novel Al-Sabīliyāt by Ismail Fahd Ismail: A Reading in the Light of Cultural Criticism

Abstract

Whoever reads the novel Al-Sabīliyāt by the novelist Ismail Fahd Ismail In the light of literary criticism might initially think that the novel supports women and contributes to producing a positive image of them contrary to the negative portrayal in patriarchal culture by assigning them the role of reviving the village of Al-Sabīliyāt in southern Iraq after it was destroyed by the Iran-Iraq war. Yet, a rereading of the novel in light of cultural criticism reveals cultural patterns that subtly slipped beneath its surface conveying implicit meanings that reinforce the pattern of deficiency, dependence, helplessness and misguidance through Umm Qasim's insistence on imitating men as she is portrayed as lacking intellect and being the weaker and inferior creature trying to catch up with the stronger one.

Everything Umm Qasim did was not from her own will or planning or thought. Rather, she followed the instructions and guidance of her husband Abu Qasim who became the absent present figure in her life through his repeated visits in her dreams eventually solidifying Umm Qasim's character as a model of femininity in patriarchal culture which views women as perpetually waiting for men to tell them what to do and to give their lives meaning.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI : https://doi.org/10.31185/lark.4805

ا.م.د. محمد رضا عبد الستار محمد – كلية الآداب – جامعة واسط

الملخص

من يقرأ رواية السبيليات للروائي إسماعيل فهد إسماعيل في ضوء النقد الأدبي يظن في الوهلة الأولى أن الرواية انتصرت للمرأة ، وانخرطت في انتاج صورة إيجابية لها بالضد لما كانت عليه من سلبية في الثقافة الذكورية ، حين أسندت لها دور إعادة الحياة إلى قرية السبيليات في جنوب العراق بعد أن خربتها الحرب العراقية الإيرانية ، ولكن إعادة قراءة الرواية في ضوء النقد الثقافي تكشف الأنساق الثقافية التي تسللت من تحت عباءاتها الدلالات النسقية المضمرة التي عملت على تكريس نسق النقص ، والتبعية والعجز ، والضلالة من خلال حرص أم قاسم على تقليد الرجل بوصفها " ناقصة عقل " والمخلوق " الأضعف " و "الأدنى " الذي يحاول اللحاق بالمخلوق الأقوى ؛ لأن كل ما قامت به أم قاسم لم يكن من أعمالها ، ولا من تدبيرها ، ولا من تفكيرها ، وإنما كان من توجيهات زوجها المتوفي بو قاسم وإرشاداته وتعليماته التي صيرته الغائب الحاضر في حياتها بفعل زياراته المستمرة لها في مناماتها ، لترسخ شخصية أم قاسم في النهاية نموذج الأنثى في الثقافة الذكورية التي ترى بأن المرأة تبقى بانتظار الرجل ؛ ليقول لها ما يجب أن تفعله ، ويجعل لحياتها معنى .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المقدمة

لقد شكل ميلاد النقد الثقافي لحظة فارقة في الثقافة الغربية ، ولم تكن الثقافة العربية بمنأى عن آثار ذلك بفعل انفتاحها على الإفادة من طروحات مناهج ما بعد الحداثة في قراءة الأعمال الأدبية على نحو مغاير لما درجت عليه مناهج النقد الأدبي ، التي ظلت تدور في فلك الكشف عن جماليات الأدب ، وأنظمة بنائه بحسب رؤية المؤسسة النقدية التي أخضعت أفعال التلقي والتذوق والتأويل والقراءة لشروطها (ينظر الغذامي ، 2005 ،59) حتى جاء النقد الثقافي ليحول الأنظار نحو الأنساق الثقافية المضمرة في تلك الأعمال (ينظر الخليل ، 2012، 7) ويدعو لرصد تسلل دلالاتها النسقية تحت عباءة الجمالي وكشف قبحياتها ؛ بوصف النص حادثة ثقافية يقبل الجمهور على استهلاكها ، بتأثير المؤلف الأول للنسق المتمثل في الثقافة ذاتها ، وحضورها في لا وعي المؤلف المعهود ؛ لممارسة التحكم والهيمنة والتوجيه (ينظر الغذامي ، 2005 ،79- 80) لأن الثقافة "مؤلِّف مضمر ذو طبيعة نسقية تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى "(الخليل ، 2012، 7) ولقد حازت صورة المرأة في الكثير من الروايات العربية المعاصرة على مساحة كبيرة ، وكان الحرص على إعادة انتاج صورتها على نحو مضاد لأنساق الثقافة الذكورية في مقدمة الأسباب التي وقفت وراء ذلك ، ولكن المفارقة أن بعض هذه الروايات زادت الطين بلة كما يقال ، ووقعت فيما أرادت أن تتحرر منه ، وتغادره بحسب إجراءات النقد الثقافي ؛ لأنها رسخت بخطابها

الدلالـة النسـقية لصـورة المـرآة بحسـب ثوابـت الثقافـة الذكوريـة ، وكانـت روايـة السـلبيليات لإسـماعيل فهـد إسماعيل مثالا لذلك استنادا إلى وجهة نظر هذه القراءة.

كلمات مفتاحية : النسق ، النقد الثقافي ، الدلالة المضمرة ، الثقافة الذكورية ، الرواية . السبيليات.

أولا – الأنساق الثقافية الظاهرة :

1-نسق القوة :

لعل أول خرق أنجزه خطاب الرواية كان في ازدواجه الدلالي باشتماله على نسقين : ظاهر ومضمر ، وأوفى النسق الظاهر بشرط جماليته وجماهيريته حين كسر الصورة النمطية لثوابت الثقافة الذكورية ، التي اعتادت على تصوير الذكورة والأنوثة قطبين متضادين وأن الطرف الثاني أكثر عجزا وأدنى رتبة من الطرف الأول (ينظر جلبرت ،2005، 78) وذلك حين حرص خطاب رواية السبيليات في الظاهر على إظهار فاعلية المرأة عبر إسناد الدور الفاعل للشخصية الرئيسة (أم قاسم) وتعضيد هذا بافتتاح خطاب الرواية بثنائية (قوي / ضعيف) وجعل القطب الأول منها (لأم قاسم) والقطب الثاني لـ(بو قاسم) من خلال الكشف عن الفجوة بين رأيها ورأي زوجها أمام مطالبة الجيش العراقي أهالي القرى القريبة من ساحة المعارك في جنوب العراق بإخلائها ، ولاسيما قرية السبيليات ، والإشارة مقدما إلى ما سيقع لاحقا من الأحداث ؛ ففي الوقت الذي بدت فيه (أم قاسم) قوية وأكثر صلابة ، وأشد تمسكا بالمكان من خلال تساؤلها الذي أكدت فيه تعذر رحيلها عنه " كيف يتسنى لنا أن نغادر تاركين شكل ارتباطنا بالمكان " (إسماعيل، 2017 ،9) وحين قالت " لا أظننا نجد أرضا تناسبنا ، يحضرها تسليمه مسبوقا بزفرة ألم ، أرض الله واسعة " (إسماعيل ، 2017، 10) فأن زوجها بدا ضعيفا وأقل انتماء له ، وأكثر استسلاما واستعدادا منها للتنازل عنه ، والرحيل عن الدنيا بعد أن طحنه مرض القلب إلى الحد الذي جعله يتمنى الموت ، غير مبال بعتاب زوجته له بقولها " يهون عليك تتركني وحيدة يجيبها ، لديك من الأولاد والأحفاد ما يعوضك عني " (إسماعيل ،2017، 11) لأن وجود الرجل بجوار المرأة بحسب ثوابت الثقافة الذكورية يجعلها تشعر بأنها أكثر قيمة وأمنا وقدرة (ينظر جلبرت، 2005 ، 94) على تحدي الصعاب بإرادة صلبة ، وتأكيد هذا بتمثيل عزمها على مواجهة إرادة الحكومة العراقية التي ألزمت سكان القرى القريبة من جبهات الحرب العراقية الإيرانية التي تصاعدت وتيرتها في آب 1980 – بإخلاء مساكنهم والتوجه إلى المحافظات العراقية الأخرى ؛ حرصا على سلامتهم فضلا عن الاحترازات الأمنية التي كانت تقضي بحظر دخول غير العسكريين فيها ؛ فالثابت في الثقافة الذكورية أن الرجل الحقيقي وليست المرأة هو الذي يجب أن يبدو منافسا وقويا وذكيا ومناضلا من أجل العدل ، وواثقا من نفسه ومن نجاحه ، ويرفض الهزيمة والاستسلام ، ولا يهاب الموت ،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وينظر دائما إلى الأمام (جلبرت، 2005، 79-81) وليس بالضد من هذا كله كما بدا عليه في النسق الظاهر لخطاب رواية السبيليات.

2-نسق القدرة :

وقد تمثل ذلك في مصارحة أبنائها بقرارها في العودة إلى قرية السبيليات ، والانعتاق من الارتهان برغبتهم في البقاء معهم ، والإصرار على ممارسة حياتها باستقلالية تامة ، ومن دون تبعية وامتثال لإرادة غيرها ، وإقدامها على خوض المغامرة في السفر لوحدها ، والاعتماد على جهدها الذاتي في بلوغ غاياتها ، وكسر الصورة النمطية للمرأة في الثقافة الذكورية التي ظلت مقرونة بالخوف ، والكسل ، والتردد ، والعجز عن اتخاذ القرار اللازم في المواقف المصيرية ، (ينظر جامبل ، 2002 ، 14) وتأكيد هذا بقولها " لا أستطيع البقاء هنا ... أحس باختناق غريب ...اتخذت قرارها بنفسها أن تعود لبيتها البعيد بجهدها الذاتي ، لهم حياتهم وأنا مسؤولة عن حياتي " (إسماعيل ، 2017 ، 14) غير مبالية باعتراض أبنائها على قرارها الذي بدا في نظرهم خرقا للمألوف والمعتاد " لن نسمح لك بمثل هذه المغامرة المجنونة " (إسماعيل ، 14) لأن صورة المرأة لم تقترن في الثقافة الذكورية بالمغامرة والانشطة المتصلة بالخلاء وما تقتضيه من صلابة وقوة احتمال (ينظر روزنبرج ، 2005 ، 113) بوصفها المخلوق الأضعف وليس الأقوى ، وافتقارها لروح النضال (ينظر سايزر، 2005 ، 74) ولكن أم قاسم بدت في الظاهر خلاف هذا ، فقد كانت " امرأة غير " لأنها تمكنت في الظاهر من إعادة الحياة لقرية السبيليات ، وإعمار ماخربته الحرب ؛ فهي " امرأة حكيمة " (إسماعيل، 2017 ، 119) " تكره الحرب " (إسماعيل، 2017 ، 142) والرجال هم المسؤولون عن الحروب أكثر من الجنس الآخر (ينظر ألدا ، 2005، 99) ولطالما استنكرت القصف المتبادل ، وحظيت بتقدير الجنود لتعاونها معهم بتوفير المؤنة لهم (ينظر إسماعيل، 2017 ، 129) ولنجاحها بزراعة أرض البستان بعد حراثته بمعونة الجنود ، ولاسيما الجندي جاسم الذي لم يكن منافسا لها في حبها للأرض فحسب (ينظر إسماعيل، 2017 ، 139) ، وإنما كان واقعا صاحب فكرة المدبسة التي " بدأ بتنفيذها " (إسماعيل ، 2017 ، 142) للاستفادة من فائض التمر البرحي .

ثانيا –الأنساق الثقافية المضمرة :

1-نسق نقصان العقل (الاستدلال بـ"أجهل الخلق):

لقد حاز توظيف الحيوان في الأدب العربي قديما وحديثا على مساحة كبيرة ، وتنوع التوظيف فبعضه كان في العناوين ، وبعضه في الموضوعات ، وبعضه في الشخصيات لأغراض عدة سياسية ، و نفسية ، و اجتماعية ، (ينظر منى شعبان و أ.م.د سعد داحس ، 2021 ، 17) ومن بين تلك التوظيفات محاولة بعض الكتاب رسم صورة مغايرة للحمار بالتركيز على إبراز إيجابياته في الصبر والتحمل ، وبوسع القارئ أن

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يلمس هذا ظاهرا في رواية (السبيليات) ويدرجها في قائمة تلك المحاولات ، التي لم تتمكن بحسب رأينا من محو ما رسخ في مخيال الثقافة العربية والإسلامية بوصف الحمار مثالا للغباء والبلادة ؛ فقد ظلت صورة الحمار المقترنة بالظلال السلبية هي المهيمنة ، والحاضرة بقوة في تلك الثقافتين ، وفضلا عن هذا فأن إعادة النظر في الدور الذي أسند للحمار في رواية السبيليات يظهر أن تلك المحاولة كانت على حساب إعادة تنميط صورة المرأة ، وتكريس سلبيتها في الثقافة الذكورية حين بدت تمشي خلفه !! وتابعة له !! لانطواء استدلال (أم قاسم) بالحمار (قدم خير) على نسق ثقافي، وشي بدلالة مضمرة أكدّت وبقوة تأبيد النظرة السلبية لعقل المرأة ، وتثبيت حكم الثقافة الذكورية عليها بوصفها ناقصة عقل ودين (ينظر الخباز ، 2009 ، 49) وتمثيل هذا بعجزها عن الارتقاء إلى مرتبة الحيوان ، وليس أي حيوان !! وإنما للحيوان الذي ضرب الله به مثلا للبلادة ، والغباء والضلال في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الجمعة ، 5) وتناغم هذا مع الموروث الشعبي ، ولاسيما في العالم العربي الذي اتخذ منه مادة للانتقاص والازدراء ، وتوجيه الشتائم السوقية التي تصم من تطاله بالبلادة والغباء بوصف " الحمار أجهل الخلق " (الجاحظ ،1965، ج258/2)

فكل هذه المعطيات أكدت النسق المضمر الذي انطوى عليه اتخاذ (أم قاسم) الحمار (قدم خير) دليلا ومرشدا وهاديا لها في تحركاتها ، وتعويلها على ردّات فعله في أحيان غير قليلة ، كلما عجزت عن اتخاذ القرار المناسب في تلك المواقف ؛ فقد رأت " أن تضع يدها على أحد الحمير تسلمه قيادها " (إسماعيل ،2017 ، 15) بعد أن " تركته يمشي أمامها " (إسماعيل ،2017 ، 17) لتبدو تابعة له !! بدلا من أن يكون تابعا لها !! امتثالا لرأي زوجها في اختياره من بين الحمير ؛ إذ اختارته بعد أن استحضرت رأيه المتفائل فيه ، يوم اختار له اسم " قدم خير " ورأى أنه "جحش محظوظ " (إسماعيل ، 2017 ، 15) لتؤكد بهذا كله تبعيتها الثابتة مرتين : الأولى في تبعية اختيارها ، والثانية في سلوكها ؛ امتثالا لنسق الذكورة الذي يملي عليها أن تكون تابعة ، وليست متبوعة ؛ إذ ليس للأنوثة من وظيفة في الثقافة الذكورية سوى " تأكيد تفوق الذكر وتثبيت هيمنته " (شرابي ، 1993 ، 16) ؛ لارتكاز النظام الأبوي " على استعباد المرأة ...ونفي وجودها الاجتماعي كإنسان والوقوف بوجه كل محاولة لتحريرها " (شرابي ، 1993 ، 16)

1-نسق العجز والتبعية (غياب الحاضر وحضور الغائب بوحي المنامات) :

لم تغب ثيمة الموت ، والسؤال عن فلسفته عن الكثير من النصوص الأدبية القديمة والحديثة ؛ لا بوصفه القدر المضاد للحياة الذي أقلق الإنسان منذ وجوده ، أو القدر الذي يمكن أن ينهي حياة البطل بطريقة تراجيدية في الأعمال الأدبية ، ويمنحها معنى آخر أكثر عمقا في التعبير عن رؤاه ، ومواقفه إزاء القضايا التي يواجهها ، وإنما بوصف الموت محركا مهما لتطور الأحداث ، وتأزمها بغياب شخصيات ، وحضور أخرى ، (ينظر

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

بروب ،1989 ، 83) وما يتبع هذا من انفتاح السرد على تعقّد الأحداث ، وتعدد دلالاتها ، خلافا لما كان الحال مع موت (بو قاسم) الذي مات في " الليلة الثالثة لرحلتهم نحو الشمال " (إسماعيل، 2017، 11) إذ كان موته في الظاهر بمثابة إعلان لغيابه ، وانتهاء دوره في نمو الأحداث وتطورها ، مقابل حضور أم قاسم ، التي بدت في أعقاب ذلك الشخصية المحورية التي نمت الأحداث على يديها ، ودفعت بها نحو نهاياتها بحسب الظاهر ؛ لأن الأحداث اللاحقة سرعان ما قلبت قطبي هذه الثنائية ، وجعلت الغائب (بو قاسم) حاضراً ، والحاضر (أم قاسم) غائبا من خلال استعادة (بو قاسم) إلى واجهة الأحداث مرشدا !! وملهما !! عبر المنامات التي ظل يزور فيها (أم قاسم) حتى قالت " بو قاسم لم ينسني كان يزورني في الحلم ليليا "(إسماعيل ، 2017 ، 54) واللافت أنه طلب منها في أول زيارة له ، أن تنقل رفاته من القبر الذي دفن فيه على جانب الطريق الدولية شمال مدينة الناصرية ، إلى القبر الذي اختار أن يكون في بيته ؛ ليبقى قريبا منها ، ومن ساحة الأحداث التي ستقع تباعا ، بفعل توجيهاته ، وإرشاداته لـ(أم قاسم) ، وذلك بعد أن سألته عن سبب حزنه في هذا المنام " لماذا أنت حزين ، يجيبني لأني مدفون في أرض غريبة ، ما المطلوب مني ؟ ليتك تبادرين لاستعادة رفاتي ، تأخذيني لبيتنا ، شدد عليّ ، وصيتي لك أن أدفن تحت النخلة الحلاوية في حوشنا ، بعدما تنتهين من دفني مطلوب منك أن تقومي بتلاوة القرآن الكريم على قبري ساعتين في اليوم لمدة أربعين يوما " (إسماعيل ، 2017 ،54- 55) وما أن تتمكن من التسلل إلى قرية السبيليات ، والعودة إلى بيتها حتى يُكتَشف أمرها من الضابط المكلف بالتموضع مع جنوده في القرية ؛ فيبدي أحد الجنود استغرابه من وجودها في منطقة خطرة ، فيوجه لها السؤال ليعرف أسباب ذلك ، فتجيبه بما يثبت تبعيتها وامتثالها لمطالب زوجها الغائب الحاضر ؛ إذ أكدت أنها فعلت ذلك تنفيذا لوصيته في منام آخر " لماذا إصرارك على البقاء ؟ فاجأته إجابتها ، طلب المرحوم بو قاسم ، هل أوصى بذلك ؟ ليست وصية ، تطلع إليها منتظرا توضيحها ، يزورني في منامي بين ليلة وثانية ، يطلب مني البقاء إلى جانبه " (إسماعيل ،2017 ، 63) فلم تترك لهذا الجندي ، ولا لآمره سوى التعاطف معها ، والسماح لها بالبقاء مدة مؤقتة تكفي لقيامها بمطالب زوجها .

1-المنام الأول :

لقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى أن رؤى المؤمنين ومنامات الصالحين صدق وحق ، سواء ما احتاج بعضها إلى تفسير وتعبير ، أو ما لم يحتج منها إلى ذلك (ينظر الدنيا ،1988، 4-5) ؛ إذ قال تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الفتح ، 27) " وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات ، 102) (ينظر الشيرازي ، 2006 ، 22-24) وأصدق

الرؤى ما كانت في الأسحار ، وهي بشارات في الدنيا " فينتفع الناس في مصلحة يهتدى لها ، أو مضرة يُتحذّر منها " (الشيرازي ، 2006 ، 16-17)

وإذا كان " الموتى لا يكذبون " (إسماعيل ،2017، 145) في مناماتهم فإن بو قاسم لم ينقطع عن زيارة أم قاسم في مناماتها كل ليلة ، ليكون الموجه والهادي لها ، وليشي بتبعيتها ، وعجزها عن اتخاذ القرار اللازم في المواقف التي تواجهها ؛ الأمر الذي جعلها تبقي قبره مفتوحا ؛ لا لضمان التواصل معه في النهار فحسب ، وإنما لضمان نقله معها إلى أي مكان آخر إذا اضطرها العسكر لذلك " أنتِ أبقيتِ على قبر زوجك مفتوحا ، فاجأته إجابتُها ، لأني لا أضمن بقائي إلى جانبه ، هل تأخذين رفات زوجك باستمرار عند مغادرتك بناء على طلبه" (إسماعيل ، 2017 ، 82) وما أن نجحت أم قاسم في إقناع الضابط وجنوده بالبقاء في قرية السبيليات لغاية 21 نيروز ذكرى زواجها من بو قاسم ، حتى أخذت تتجول في القرية ، فلاحظت آثار الخراب الذي لحق ببيوتها ، ومحالها وبساتينها ، وأنهارها التي بدت محتشدة بعلامات الموت ، والتوقف ، والجفاف في أعقاب ما فعله الجنود من غلق لمداخلها ، وقطع شرايين حياتها ، معرضة ببطلان مزاعم الثقافة الذكورية التي ظلت تدعي بأن الرجال هم صناع الحضارة ، وليس للنساء نصيب في ذلك ، والمضي بتأكيد بطلانها من خلال رصد المزيد من علامات الخراب التي حلت بالقرية كلها ، وعزمها على قلبها ، واستعادة علامات الحياة ، وأسبابها شيئا فشيئا ، لإيهام القارئ من خلال هذا الخطاب الروائي المغاير في ظاهره مناهضته للثقافة الذكورية ، وانتصاره للمرأة تحت مظلة الثقافة التي لم تدخر سعة في نفي وجودها بوصفها إنسانا ؛ إذ كانت الثقافة الذكورية حريصة على إحباط كل المحاولات التي سعت إلى تحرير المرأة من ربقة الاستعباد ، والتبعية ، والدونية (شرابي، 1993، 16) ومن هنا راحت أم قاسم ترصد الفرق بين علامات الماضي والحاضر ، ، لتثبت من خلال عملها على تغيير هذا الواقع الطارئ ، وقدرتها وحسن تدبيرها ، وقد رصدت تعطل الحياة بشواهد غلق محل النجارة المجاور لبيتها ، الذي كان صاحبه النجار عبود الأطرش يصنع الدواليب والأسرة لمن يريد الزواج من الشباب ؛ فغلق بابه محله بدا رمزا لقمع الشباب ، وإيقاف دورة الحياة وشلها ، فضلا عن موات شجرة البمبر في حوش عبود الأطرش ، باستثناء فروع قريبة من الأرض مازالت شبه خضراء تكافح العطش ، بعد أن كانت يوما ما سببا لكسب حميدة شقيقة عبود من صناعة الطرشي أكثر مما يكسبه عبود من النجارة (إسماعيل، 2017 ، 76) ، وانقلاب المكان من أخضر يعج بالأعشاب والأشجار المثمرة ، إلى مكان يحاصر الأشجار بالموت " ثلاثون شهرا من غير ماء من القاتل ؟ (إسماعيل ،2017 ، 69) كما بدا بيت المحمود عباس الذي كان دكانه يلبي احتياجات القرية -بدا هو الآخر مغلق الأبواب ؛ ليشي بعلامات الموت والغياب ، وأوراق السدرة جافة ومنزل عبود الاطرش ، وأبواب الغرف مغلقة ، شجيرات الجوري يابسة ، ودانة حطمت حائط المطبخ

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

حطمته ، ونفذت في أرضيته(إسماعيل ،2017 ، 72-73) ومنارة المسجد صامتة بلا أذان ، ونهر سيد رجب ، ونهر الجومة تحولا إلى خندقين عميقين ، في أعقاب قيام العسكر بردم مدخليهما ، متساءلة بمرارة وإنكار " كيف لهم أن يحكموا على البساتين بالموت " (إسماعيل ،2017 ، 75) كما آلمها انقطاع الماء عن البيوت ؛ فكلما دخلت بيتا ، وفتحت حنفيته اصطدمت بقطع شريان الحياة عنه ؛ فتذكرت أن " الحياة بمظاهرها كافة تحتاج عنصرها الأساسي... الماء " (إسماعيل ،2017 ، 77) وأن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ بفتح مدخلي النهرين ، ولكنها لم تعرف كيف تفعل هذا !! وحين أخلدت إلى النوم في سرير الزوجية في بيتها ، غفت ، ورأت في منامها زوجها " رأته يحمل فأسا ، دققت في نظرها ، ليست سوى فأس عبود الأطرش "(إسماعيل ،2017 ، 77) ولم تفهم قصد زوجها قبل أن تسأله عن ذلك ، ليجيبها ويؤكد مرة أخرى حضور الغائب وفاعليته ، وغياب الحاضر وعجزه !! إذ وجهها نحو الاستعانة بالفأس في عمل فتحة صغيرة في " سواترهم الترابية عند مداخل أنهارنا ..أدهشها رده . بانتصاف الليل يبلغ مدّ الشط أقصاه ، يكاد يلامس سطح السد ...فإن حفرنا مجرى صغيرا في السطح تدبر الماء قوته شاقا طريقه نحو الداخل ...استبدت دهشتها ، أنت تتحدث عن الماء وكأنه شيء حيّ . حسمتها إجابته " (إسماعيل ، 2017 ، 78) ليتأكد مرة أخرى أن بو قاسم هو الموجه لها في حل المشكلة ، وأنه هو المعلم لها ، وأنها من دون ذلك لا تقوى على شيء مهما حاولت ، وقد أكدت هذا مرة أخرى حين سألها الملازم عبد الكريم عن عدد المرات التي يزورها زوجها في المنام لتجيبه بما أدهشه" هل يتراءى لك زوجك باستمرار . مرة كل ليلة " (إسماعيل ،2017 ، 82) " وقبل أن يسألها عن أسرار ذلك سبقته بسرد ما جرى بينها وبينه في الزيارة الأخيرة ، لتؤكد له بأن زوجها بو قاسم هو الذي وجهها نحو الاستعانة بفأس عبود النجار في هدم السدين الترابيين " إن كان وقتك يسمح رويت لك تفاصيل زيارته لي فجر اليوم. ابتسم مداريا فضوله . وقتي يسمح . حدثته عن فأس النجار التي تزود بها بو قاسم ونيته العمل على هدم السدين الترابيين اللذين أقمتموها عند مدخل نهر سيد رجب ونهر الجومة ، عانى ملازم عبد الكريم ما يشبه الانشداه ... أنت امرأة غير " (إسماعيل ، 2017 ، 82) " ثم راحت تواصل إعمار ما خربته الحرب ؛ إذ قررت اصلاح جدار مطبخ بيت محمود عباس ؛ بوصفه مكانا لإدامة الحياة بما يطبخ فيه من أطعمة " مرت عيناها على نثار الطابوق فوق أرضية المطبخ ، تخلصت أمس من الحديد المتشظي في حين بقي تشظي الجدار ...استعانت بالطين لرصف الطابوق داخل فجوة الجدار ...تعترف أنها لا تجيد حرفة البناء لكنها فعلت ما استطاعت " (إسماعيل ، 2017 ، 81) ثم واصلت تحركها مستنكرة مشاهد الخراب والدمار التي خلفتها حروبهم ، وتساءلت " متى تنتهي حربهم و يعود ناس السبيليات " (إسماعيل ، 2017 ، 86) وهي ترصد انقلاب احوال القرية بين حاضرها ، وماضيها ، وكيف كانت بيوتها ، وبساتينها ، وأزقتها تضج بعلامات الحياة والحيوية ، وكيف

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أضحت خاوية يلفها الصمت المطبق ، والجفاف ، والإباس " لم تر غير عيدان رمادية اللون تلفتت الجهات ، الجفاف عنوان الموت " (إسماعيل ، 2017 ، 85) " وأن حل هذا المشكلة يبدأ بإعادة المياه إلى مجاريها، معترفة بأن " بو قاسم نبّهها لكيفية معالجة هذا الموات " (إسماعيل ، 2017 ، 83) وذلك بعمل فتحة في السد الترابية التي أقامها العسكر على نهر سيد رجب ونهر الجومة مؤكدة بهذا رأي الثقافة الذكورية التي تدعي بان المرأة " تبحث عن رجل يقول لها ماذا تفعل " (جلبرت، 2005 ، 84) بوصفها كائنا عاجزا وتابعا .

2-المنام الثاني :

إن عودة بو قاسم لأم قاسم في المنام مرة ثانية لم يؤكد حضور الغائب ، وغياب الحاضر فحسب ، وإنما أكد عجزها الفكري ، وافتقارها لقدرة التعبير والتفكير ، وترسيخ ما وُصِمت به في الثقافة الذكورية من نقص العقل ؛ وضرورة البقاء تحت وصاية التبعية ؛(دالي ، 2005 ، 222) مادام المنطق يوجب خضوع العقل الأضعف للعقل الأقوى ؛ بوصفها الكائن الموسوم بالغباء الفطري في المؤلفات الدينية والقانونية (ينظر ديلومو ، 2005، 20) فهي لم تقو على تعبير الرؤيا وتأويلها لتقوم بما طلبه بو قاسم منها في المنام الأول ، فاضطرته لأن يعود لها في المنام مرة ثانية ، تكريسا لمنظور الثقافة الذكورية التي " أصرت على أن التدني متأصل في طبيعة عقل الأنثى " (موريس ، ، 129) وراحت تسأله عن سبب هذا ، وكأنه لم يوضح لها ذلك في المنام الأول ، ظنا منها أنه كان من أضغاث الأحلام " حاملا فأس عبود الأطرش . إلى أين واجهته بسؤالها المستنكر؟ قال وهو يهم بمغادرة البيت. يتوجب مد يد المساعدة لابنك صالح ٠ أردف . لن يوفق لصيد سمكة واحدة مع بقاء السد الترابي. حيرتها إزاء فهم حلمها، ، لو كان شأن سابقه صنفته أضغاث أحلام، لكن تواليه داخل مقام سيد رجب... أصغت لداخلها. لو أخذته على محمل الجد، من يفسره لي " (إسماعيل ، 2017 ، 88) وهكذا تسللت الدلالة المضمرة من تحت عباءة الجمالي ، ووشت بنقيض الدلالة الظاهر ، وأكدت ما ألصقته الثقافة الذكورية بحق المرأة من أن أفضل النساء عقلا في منظور تلك الثقافة لا ترقى بمرتبتها إلى أسوأ رجل (ينظر وولف، 1999 ، 58) وهي على خطأ بحكم جنسها الذي جعلها " ضحلة الفكر وسطحية ، وأنها ثرثارة ، وضعيفة ، كما أنها بطيئة الفهم وغير ثابتة العقل" (دالي ، 2005 ، 223) في حين بوسع الرجل أن يفكر في نفسه بدون امرأة ، بينما المرأة لا يمكنها أن تفكر في نفسها بدون رجل ، وهي ببساطة ما يقرره الرجل " (دي بوفوار، 2005 ، 178) وإزاء تراكم هذه المعطيات التي جسدت حيرتها المزمنة وتشوشها ، وإخفاقها في تأويل هذا المنام الذي تكرر مرتين من دون أن تفهم مراد زوجها !! لم تجد أمامها سوى التوجه نحو قبره المفتوح ؛ لتحادثه بعد حلول الليل ، وتطلب منه أن يوضح لها مراده بهذين المنامين ، بعد أن رأته يحمل فأس عبود الأطرش ، مستبعدة حثها على استخدام الفأس لشق مجرى في

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

السد الترابي الكبير ؛ كون هذا مما لا يحتمل عقلا ، بحجة عدم التكافؤ بين الغاية والوسيلة " جاءت بجزء من القرآن الكريم، جلست قرفصاءها بمواجهة القبر المفتوح ، بدأت تتلو ريثما حل الليل . وجهت خطابها لزوجها. زرتني مرتين حاملا فأس عبود الأطرش ما الذي تريد إبلاغي به. أصغت لثوان. أين الحكمة في أن تتسلح بفأس نجارة لتهدم سدا يفوق حجمه بيتنا مرات. " (إسماعيل ، 2017 ، 90) ولم يخطر ببالها أنه وجهها لاستخدام فأس عبود الأطرش في حفر مجرى في السد الترابي ، بالتزامن مع ارتفاع المد لأعلى مستوى له عند اكتمال القمر في ليلة الرابع عشر من الشهر ، وسقوط زخات المطر ، وما تحدثه من هشاشة في التربة اليابسة ؛ لتؤكد أم قاسم بهذا التردد دلالات النسق المضمر الخاص بتدني قدراتها العقلية ، وعجزها عن تأويل إشارات الرؤيين ؛ واضطرارها لمخاطبة رفات زوجها مرة أخرى " عندما زرتني في منامي هنا لم أخذ كلامك لي على محمل الجد، مسألة انتظار المد حتى يبلغ أعلاه ثم حفر مجرى.. بترت جملتها. على حياتنا معا كنت عندما أبالغ في نقل خبر ما، تبتسم بلؤم تقول.. حدث العاقل بما لا يليق.. دار في بالي الآن أن أعيد مثلك عليك لولا زيارتك منامي داخل مقام سيد رجب لا يمكن أن تكون أضغاث أحلام.. أطبقت جفنيها، غافلتها ذاكرتها استعادت كلمات ابنها صالح حول بلوغ المد أقصاه مع اكتمال القمر منتصف ليلة 14 ... شيء أشبه بالشرارة قدح داخل رأسها "(إسماعيل ، 2017 ، 90) فأدركت بعد هذا كله أن عليها ارتقاب حدوث تلك الإشارات ، واغتنام وقتها في حفر شق في السد الترابي .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3-المنام الثالث :

ومن بعد حيرتها أمام فهم مراد بو قاسم في زيارته الأولى والثانية ، والتي كشفت مرة أخرى عن عجزها ، وإخفاقها في فك شفرات إشارات بو قاسم لها في منامها ، وعدم قدرتها على جمع خيوط المنامين اختارت اللواذ بالنوم ؛ علها تحظى بزيارة ثالثة من لدن بو قاسم ليعينها في تأويل ما عجزت عن تأويله ؛ إذ " أوت لسريرها الساعة العاشرة ... أين الفأس ؟ سارعت نفت . لا أعرف ، انشداه بو قاسم بلغ أقصاه ، وضعتها عند طرف السرير قبل قليل . لم تخف استنكارها ما الذي تفعله بالفأس . قال لها كمن ينهر محدثه ، أنت تعرفين ، وضّح لي " (إسماعيل ، 2017 ، 91) وقبل أن تسمع إجابته فاقت من حلمها بعد أن سمعت غوث السماء ببرقها ، ورعدها ، وغيثها بحبات مطرها ؛ لتساعدها في تأويل رؤياها الثانية في بو قاسم ؛ إذ استغلت سقوط المطر وتوجهت نحو سد نهر سيد رجب ، و" استعانت من فورها بالفأس مطلوب منها أن تحفر مجرى صغيرا تسحب مياه الشط نحوها رويدا ، تتقهقر بجسدها وراء متابعة حفر مجراها ، تستجيب لها مياه الشط ، تنسحب لها ...بعد نصف ساعة بلغت الجانب الداخلي للسد ، غمرها فرحها وهي ترى ماء الشط يأخذ طريقه نحو عمق الخندق الجاف لنهر سيد رجب ...ها هو يوسع ويعمق مجراه جارفا التراب في طريقه ، تكاد تجزم أنه سيكتسح جانبا من السد " (إسماعيل ، 2017 ، 93) بعد أن بات السد زلقا ؛ جراء تشبعه بماء المطر ،

وأخذ الماء يتدفق نحو النهر ، ثم قامت بالفعل نفسه في السد الترابي الذي أغلق به الجنود مجرى نهر الجومة ، وتمكنت بهذا من إنفاذ ما ألح على تنفيذه بو قاسم في المنامين الأول والثاني ، وحين عادت إلى بيتها لم تجد في نفسها حاجة لـ " تخبر بو قاسم بما فعلته ، هو يعرف " (إسماعيل ، 2017 ، 91) مؤكدة بهذا أن ما فعلته كان بإلهام من بو قاسم وتوجيه منه ، وليس بمبادرة منها .

4-المنام الرابع :

بعد أن تمكنت أم قاسم من تنفيذ إرشادات بو قاسم في المنامات السابقة ، في فتح السدين الترابيين اللذين أقامهما الجنود على مدخل نهر سيد رجب ونهر الجومة ، وجدت نفسها متهمة أمام الملازم عبد الكريم وجنوده ، ظنا منهم بأن ما حصل كان مدبرا من زوجها وليس منها ؛ معززا شكوكه برده على جوابها بعد أن سألها " أين زوجك . تجاوزت انشداهها . في الحفرة . ناورها متشككا في البيت ، أم في الحفرة " (إسماعيل ،2017 ، 98) ليعزز بهذه الشكوك منظور الثقافة الذكورية التي وصمت المرأة بالعجز ، ويؤكد تسلل أنساقها مرة أخرى تحت عباءة الجمالي ، حين نفت عنها القدرة على التدبير والمبادرة ، وقصرت تلك الأفعال على الذكور فقط ، وذلك بعد أن أعاد على مسامعها شكوكه بصحة أقوالها التي حاولت فيها أن تنفي عن نفسها تهمة الكذب عليه " ماذا تريد مني ؟ رد بجفاف . سماع الحقيقة . تساءلت بألم . أية حقيقة . مع من جئتِ لهنا . مع قدم خير . أسالك عن البشر . لا أحد . أشك بوجود مجموعة أشخاص . أين . تجاهل سؤالها بإيعاز منك تولوا تخريب السدين... شكوكي مبنية على اعتراف من جانبك ...كلامك عن زوجك وتسلحه بفأس كي يهدم " (إسماعيل ، 2017 ، 98) فكل هذه المؤشرات كانت كافية في نظر الملازم عبد الكريم لإقناعه بوجود بصمة ذكورية تقف وراء تخريب السدين ؛ وأن ردود أم قاسم لم تكن مقنعة طبقا لمنظوره الذكوري ، ولم تبدد شكوكه في ذلك ، بل زادتها ، ودفعته إلى توجيه جنوده بإعادة ردم المجريين اللذين أحدثا في سدي نهر سيد رجب ، ونهر الجومة بعدد من أكياس الرمل ، ولكن بعد أن مررا ماء بدا في نظر أم قاسم كافيا لسقاية أسابيع كخطوة أولى نحو إعادة سبب الحياة لنباتات السبيليات وحيواناتها ، من دون أن تنكر فطانة الملازم عبد الكريم ، وتتحالف بلا وعيها مع منظوره الذكوري في افتراض وجود أطراف أخرى وراء ما جرى ، مرجحا بوضوح أن يكونوا رجالا " تعترف له بفطنته ...مستبعدا احتمال أن تكون الفأس هي الأداة أو أنها وحدها دون شركاء رجال " (إسماعيل ، 2017، 99) لكنها توقعت أن ما قامت به كان كافيا لتدارك الحياة ، ولو على المدى القصير في السبيليات ، من خلال توفير ماء يكفي لسقاية أسابيع ، وللتأكد من حدسها توجهت إلى بركة بيت الأطرش فوجدت عشرات الضفادع بدلا من الثلاث ؛ فشعرت بالراحة ، ثم قصدت بيتها وهي تعزي نفسها بقرب استعادة أشجار النخيل والسدر لحيويتها واخضرارها من جديد ، ثم خطر لها أن تزرع ورد الجوري في حوض بيت عباس محمود ، لكنها تذكرت أن زراعته يستلزم تعهده بالسقاية المستمرة ،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وهذا ما لن يتأتى لها أمام مهلة بقائها المحدودة والمحددة ؛ فوجدت نفسها مثل كل مرة عاجزة ، ولا تدري ماذا تفعل ؛ وليس أمامها سوى اللجوء إلى قبر زوجها الذي تركته مفتوحا تأكيدا لعجزها في الاستغناء عن حضوره ، ورغبة منها في قلب غيابه حضورا فاعلا ، من خلال التوجه إليه ، وطرح أسئلتها عليه كلما اقتضى الأمر ؛ ليلهمها الحلول اللازمة لتخطي العقبات التي تواجهها ، ويرشدها لما تفعل " ما العمل يا بو قاسم ، تخاطبه كما لو أنه أمامها يسمعها ، استطردت مهيبة به ، أنت لن تخذلني ، سكتت وهلة ، تقدمت إثرها بما يشبه الاقتراح . وجهني لما أفعله " (إسماعيل ، 2017 ، 103) لتقدم بهذا الخطاب مرة أخرى شاهدا آخر على النسق المضمر الذي انطوت عليه الرواية ، وحرصت على تمريره تحت عباءة الجمالي ، ونعني بهذا ترسيخ الصورة النمطية السلبية للمرأة المتمثلة بالمرأة العاجزة ، تحت مظلة الأحداث التي جعلتها في الظاهر وراء استعادة مظاهر الحياة في قرية السبيليات التي خربتها الحرب وشوهت معالمها ، إذ لم تكتف أم قاسم في الظاهر في المخاطرة بسلامتها من أجل استعادة مظاهر الحياة بإعادة جريان الماء في نهري سيد رجب والجومة فحسب ، وإنما أصرت على استعادة مظاهر الجمال أيضا ، من خلال الحرص على إعادة غرس ورد الجوري في بيت محمود عباس ، والذهاب إلى أبعد من ذلك ، حين رهنت شتل ورد الجوري عند رأس زوجها بشرط أن يعلمها كيف تمدد إقامتها لمدة أطول " عادت لمخاطبة زوجها ، أعدك أتيك بشتلتين مشترطة إذا عرفتني بكيفية تمديد إقامتي هنا " (إسماعيل ، 2017 ، 105) فالظاهر أن أم قاسم كانت " امرأة غير " (إسماعيل، 2017 ، 95) ولكن النسق المضمر في لجوئها إلى قبر زوجها المفتوح كلما ضاقت بها السبل ، لطلب الهداية والارشاد لم يشي بتأبيد حكم الثقافة الذكورية التي وصمتها بالضلال فحسب ، وإنما وشي بأن الغائب الحاضر زوجها هو من يقف وراء إعادة الحياة لقرية السبيليات ، وأنها من دون إرشاداته وتوجيهاته وتنبهاته ما كان لها أن تحقق ما أخذت تحققه ، فبعد أن علمها بو قاسم كيف تعيد سبب الحياة ، بعمل فتحة في السدين الترابيين أثناء نزول المطر ، أدركت أم قاسم أن استكمال ما شرعت به يحتاج إلى المزيد من الوقت ، وأن المدة المتاحة أمامها غير كافية ، وعليها أن تجد طريقة لإطالتها إلى الحد الكافي لاستكمال خطة إعادة الحياة إلى قرية السبيليات، والحد من علامات الموت والخراب التي جرتها الحرب عليها ؛ الأمر الذي لم يترك لها إلا أن تقول " لو أجبروني على المغادرة أخذتك معي " (إسماعيل فهد ، 105) لتتضامن بهذه القناعة بقصد ، أو من دون قصد مع إحدى مقولات الثقافة الذكورية التي رهنت حياة المرأة بحضور الذكر ؛ وأن حياتها تبقى بلا معنى من دونه .

5- المنام الخامس :

بعد أن تصاعد قلق أم قاسم إزاء مستقبل بقائها في السبيليات ، باتت معرفة كيفية بقائها لمدة أطول شغلها الشاغل ، ولذا لم تتأخر عنها زيارة بو قاسم لها في منام جديد ، ولاسيما مع إحساسها بقرب نفاد المدة المتبقية

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لها ، وإلحاحها بسبب هذا في مخاطبتها لبو قاسم بأن يعلمها كيفية بلوغ ذلك ؛ ولذا فقد زارها بو قاسم في منام خامس اختلف عن المنامات السابقة بطوله ، وإشارته بغموض إلى قرب وقوع أحداث جسام ، ورده بشكل موارب عن سؤالها الأهم المتمثل بتوجيهه لها مرة أخرى كيفية إقناع العسكر ببقائها لمدة أطول ؛ وتمرير إدانتها بقصور عقلها ، وعجزها عن تدبير أمورها من دون معونة الغائب الحاضر زوجها بو قاسم ؛ إذ رأت " كانا جالسين متقابلين داخل زورق يتهادى بهما فوق مياه شط العرب ...تناهي لوعيها أنه يوم الكسلة ..عيد نوروز ، انتابتها حيرتها لما رسخ في وعيها أن عيد نوروز لم يحل بعد ، لفت بو قاسم اهتمامها إليه . ما بك..فجأة تعالت أصوات الناس من حولهما بأعلى ، لم تميز صيحات الفرح من صرخات الفزع ، أحست بالبرودة تسري في جسدها ، خوف من مجهول داهم قالت له نذهب للبيت . صمت لزمن بدا ثقيلا . سنفعل . ألحت . متى . عانت صمته مرة ثانية . في حينه ... سد ترابي هائل الحجم، خيم عسكرية صغيرة تبدو مدفونة داخل الأرض ، أجسام معدنية متشظية الحواف ، نخل برؤوس جافة متهدلة، نفذ بو قاسم داخل أفكارها وضّح لأنهم يعيشون وسط قبورهم. قدح ذهنا، قالت. قبورهم خالية من جثامينهم. أطلق زفرة أسى. أمر مؤلم. وجدت ردها. لن أفرط بجثمانك ما حييت. ابتسم بمحبة. سيكون لكِ ذلك. ساد صمت كلي، تبعه تلاش سريع لمفردات المشهد، كانت وحدها وسط أرض فضاء مترامية مغطاة بشواهد قبور متوازية ممتدة لما وراء خط الأفق، انتابها فزعها. لماذا أنا. رغم معاناتها ضياعها تبادر لها أن تنهر نفسها. يجب أن أكف..انتفضت جالسة ، ظلمة الليل ، الغرفة والسرير. اللهم اجعله خيرا ... لديها كم من الحنين الشفيف للغائب الحاضر ، انتابها شعور بالتقصير ، فاتها اغتنام فرصتها سؤاله مشورته كيف تقنع عسكرهم بالإبقاء عليها ، لكنها راجعت سياق حلمها ، بو قاسم بثها رسالته بهذا الخصوص عندما قال كلماته سيكون لكِ ذلك "(اسماعيل ،2017، 106-108) الأمر الذي جعلها تعيد استذكار تفاصيل منامها الطويل ؛ علها تفك رموز ما اشتمل عليه من إشارات مقلقة ، وبشارات مواربة تخص كيفية إقناع العسكر بتمديد مدة بقائها ، وسرعان ما وجدت نفسها في ضحى يوم 21 نوروز أمام الملازم عبد الكريم ، ليبلغها موعد مغادرتها غدا هي وحمارها مع سيارة التموين ، فحملها حزنها على التوجه إلى قبر زوجها المفتوح ، لتبلغه بذلك ، وتعرف ما إذا كان لديه ما يخبرها به ، ويبدد حزنها ويعيد لها الأمل بالبقاء كما أخبرها في منامها الأخير " توجهت لحفرة القبر . كن مستعدا يبدو أننا سنغادر غدا . استدركت إلا إذا كان لديك رأي ثان خنست برهة كأنها تنتظر سماع استجابة ما ...مر الوقت مشحونا بالقلق لم تعهده من قبل . حيرة مقرونة بعجز عن التفكير بشكل منطقي " (إسماعيل، 2017 ، 111-112) لأن نموذج الأنوثة يملي على المرأة في الثقافة الذكورية أن تبدو " مشوشة ومضطربة " (جلبرت ، 2005 ، 85) فاختارت أن تأوي إلى فراشها الساعة الحادية عشرة ، وسرعان ما بدأ القصف المتبادل بين الطرفين ؛ فسقطت أكثر من قذيفة قرب منزلها ؛ فقررت الاحتماء بمقام سيد رجب ، ولم يتوف

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

القصف الا مع طلوع الفجر اليوم 22 ، وبدلا من أن يأتي النائب ضابط صادق والجندي جاسم ليأخذها إلى سيارة التموين وتغادر السبيليات ، جاءا ليبلغاها بانقطاع الاتصالات مع مركز القيادة ؛ بسبب القصف الكثيف وحين سألت " متى تصل الشاحنة رد نائب ضابط صادق ...لا أحد يعرف " (إسماعيل ،2017 ، 111-112) فما كان لها إلا ان تتوجه مرة أخرى لقبر زوجها المفتوح لتستطلع ما لديه ، بعد أن " استعارت مقعدا خشبيا من منجرة عبود الأطرش ، وضعته بمواجهة حفرة القبر ، قرأت المعوذات عن ظهر قلب ، مهدت لحديثها ...طلبتُ مشورتك بخصوص بقائي هنا ، الآن وقد واجهت الموت ...أنا كما تعرفني أكره مغادرة السبيليات ، أتمنى أن نستطيع البقاء في بيتنا لحين عودة الأولاد والأحفاد .." (إسماعيل ، 2017 ، 116) ثم أخذت تدرك أن مغادرتها باتت مرهونة بوصول سيارة التموين ، وأن وصولها تحت مظلة القصف لم يعد ممكنا ، ثم اكتشفت وجود خزين كبير من المواد الغذائية في بيت جواد الدليشي فأعدت وجبة ، وحملتها الى الملازم عبد الكريم بسبب عدم وصول سيارة تموينهم ، انسجاما مع ثوابت الثقافة الذكورية التي جعلت للنساء قائمة طويلة من الوظائف وكان من أبرزها " صناعة الاطعمة وكل صناعة التخمير والتقطير " "(سايزر ، 69) ثم فكرت أن تجعل ذلك مقابل تمديد فترة بقائها ، ولكنها كانت تخشى أن " يقول لها أنت امرأة استغلالية " (إسماعيل ، 2017 ، 118) ومع استمرار انقطاع الاتصال بمقر القيادة وعدم وصول سيارة التموين ، ومرور يوم ثالث ، تلاه رابع ، واستمر القصف المتبادل وانقطاع الاتصال بقيادتهم ، وتأخر الشاحنة التي كان من المقرر أن تحمل أم قاسم الى المحافظة ، ثم أخبرها النائب ضابط صادق " ربما يطول الانقطاع أكثر " (إسماعيل ، 2017 ، 120) فبدد بهذا الخبر شيئا من مخاوفها .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

6- المنام السادس ما قبل البشارة :

على الرغم من علم أم قاسم بخبر انقطاع الاتصالات مع مركز القيادة ، وتأخر سيارة التموين عن الوصول إلى السبيليات فأنها لم تجد بدا من التوجه إلى قبر زوجها المفتوح مرة أخرى ؛ لتطلب منه أن يعلمها ما الذي تفعله ؛ ولتثبت مرة بعد أخرى قصورها ، وتبعيتها له ، وعجزها عن المبادرة بما ينبغي القيام به بعد " جلوسها أمام فوهة القبر يابو قاسم ناشدته بصوت تتشربه الحيرة مع انقضاء اليوم نكون قد أكملنا أسبوعين منذ القصف ...حدقت في عمق القبر ما العمل " (إسماعيل ، 2017 ، 121) لأن نموذج الأنوثة يملي على المرأة في الثقافة الذكورية أن " تبحث عن رجل يقول لها ماذا تفعل " (جلبرت،2005 ، 84) فلم يتأخر رده عنها في الرد ؛ إذ سرعان ما زارها في منام آخر ، وانطوى على نسق مضمر أكّد مرة أخرى وصمها بالقصور والعجز في ميدان التفكير والتحليل بعد أن بدت مرة أخرى عاجزة عن تأويل المنام الأخير ، وفهم مراد بو قاسم ؛ إذ " رأت بو قاسم يجلس القرفصاء قبالتها يواصل تقطيع السمك بمنجل ، دهشتها من احتفائها . أول مرة تشاركني عمل المنزل عدد ضيوفنا يقارب أربعين ...تلاشى المشهد

بمكوناته كافة مخلفا رائحة سمك طازج تهوم عند أرنبة أنفها قبل أن تعتدل جالسة في سريرها ...اللهم اجعله خيرا ...أرسلت بصرها ناحية حفرة القبر . لم أفهم القصد " (إسماعيل ، 2017 ، 122) فظلت منشغلة بما رأته في منامها ولم تنجح في فك رموزه وإشاراته ، وازدادت " حيرتها إزاء تأويل مفردات منامها " (إسماعيل ، 2017 ، 123) فلم تترد في إشراك الملازم عبد الكريم بخبر زيارة بو قاسم لها في منامها الأخير ، لتقنعه بالسماح لها بأن تكون قرب سد نهر سيد رجب ، لتكتشف أن هناك سمكا محجوزا خلف السد وهو كاف لعمل مجبوس للملازم وجنوده " سيكون لدينا غموس سمك " (إسماعيل ، 2017 ، 124) بعد أن تمكنت بمعونة الجنود من اصطياد أسماك كثيرة ، ولكن فرحتها بذلك لم تدم طويلا بعد أن أخبرها الجندي جاسم في أثناء ذلك بأن قيادة الفرقة انتهت " من اصلاح الجسور وتسليك الطرق ، فهمت إن موعد رحيلها أزف دارت شعورها بالحزن . متى تساءلت بنفاد صبر متى تصل شاحنة تموينكم . لا أعرف ، غلبها حزنها ، مشت لبيتها " (إسماعيل ، 2017 ، 126) محاولة تخفيف وطأة هذا الخبر في نفسها ، ولعلمها بعدم تخلي زوجها عنها ، وتركه لها في حيرتها ، محدثة نفسها " يزورني بو قاسم في المنام يوجهني لما أفعله " (إسماعيل ، 2017 ، 126) " مؤكدة بهذا أن كل ما قامت به ، وستقوم به لم يكن بمبادرة منها ، وإنما كان بتوجيه من زوجها الغائب الحاضر بو قاسم .

7- المنام السابع وبشارة الزائر المختلف :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إن قراءة المنام السابع توهم في الظاهر باختلافه عن المنامات السابقة ، ولكن إعادة النظر فيه تبدد هذا الوهم ، وتضع القارئ مرة أخرى أمام القاسم المشترك الرئيس بينه وبينها ، وتؤكد له أنه تحالف عبر نسقه المضمر مع المنامات السابقة في غايته الرئيسة ، التي تمثلت في إظهار عجز أم قاسم ، وحيرتها ، وترددها ، وافتقارها إلى من يوجهها ، ويرشدها إلى ما ينبغي أن تفعله وتقوم به ؛ فضلا عن إثبات قصور عقلها ؛ إذ لم يكن بو قاسم في هذا المنام هو الزائر ، وإنما كان الملازم عبد الكريم هو الزائر فيه ؛ لا ليخرجها من حيرتها ، ويرشدها لما ينبغي أن تقوم به فحسب ، إنما ليضعها أمام نفسها , وأمام المتلقي في اختبار جديد فشلت في اجتيازه مثلما فشلت في اجتياز غيره من قبل ، ونعني بهذا اعترافها بالعجز عن فك شفرات منامها ، وتأويل رموزه ؛ فهي لم " تجزم متى غلبها إرهاقها فاستسلمت للنوم ، ليكن في علمك ..رغم نبرة الحزم في صوت ملازم عبد الكريم إلا أن قسمات وجهه تشي بطيبته ، سمعتهُ يستطرد ، تواجدك بيننا يتسبب لنا بمساءلات نحن في غنى عنها . أوشكت أن تقول له أعرف ذلك ، لولا مواصلته ... تدرين لن نجبرك على المغادرة ...انتابها انشداهها ، كيف له أن يجمع بين ضرورة رحيلها وعدم إلزامها بالتنفيذ ...أرادت أن تستوضحه لكنه تلاشى ، حضرها وعيها في سريرها ...استعادت تفاصيل حلمها ، ملازم عبد الكريم وحده ، إن كانت إشارة من بو قاسم لماذا لم يحضر " (إسماعيل،2017 ، 127) لتفصح أم قاسم بهذا التساؤل عن عجزها في تأويل

بعض رموز منامها ، وفشلها في اغتنام الفرصة لمعرفة المراد بها قبل استيقاضها ، لتجد نفسها بعد هذا أمام قائد الفرقة الذي أمر باستدعائها ، ليفك لها لغز ما بشرها به الملازم عبد الكريم في منامها الأخير ؛ إذ فاجأها بقوله " عرفت من ملازم عبد الكريم إنك لم تستكملي دفن رفات زوجك لكونك مصرة على بقائكما معا سكتت ثانيتين ، تستطيعين إكمال مراسم دفنه أضاف مشترطا إن ارتأيت البقاء بمحض ارادتك " (إسماعيل ، 2017 ، 129-130) ليمرر عبر هذا اللقاء النسق المضر الذي أكّد مرة أخرى أن قرار مصيرها لم يكن بيدها ؛ انسجاما مع ثوابت الثقافة الذكورية التي صادرت هذا الحق ، وجعلته خاضعا لإرادة الذكر ، وأملت على الزوجات أن يكن تابعات في كل شيء لأزواجهن (ينظر دالي، 2005 ، 22) فاختارت أن تهيل التراب على رفات زوجها بو قاسم ؛ تعبيرا منها على قبول البقاء " يا بو قاسم تدري عن حربهم ، تعرفها باقية مستمرة ، ولا من يعرف متى تتوقف ...سأبدأ إهالة التراب على رفاتك عصر اليوم " (إسماعيل، 2017 ، 130) من دون أن يعني قطع اتصالها به ، والتوقف عن التواصل معه ؛ إذ ظل " الوقت الأجمل لديها يتمثل في ... أن تجلس بمواجهة قبر بو قاسم تبادله الحديث " (إسماعيل ،2017، 131) وتحتكم لرأيه كلما عنت لها مسألة ، وحارت في الجواب عنها ؛ لتؤكد أنه بقي الغائب الحاضر في حياتها حتى من بعد دفن رفاته ؛ وذلك حين ذكّرت أحد الجنود بتسبب السدود التي أقاموها على نهر السيد رجب ، ونهر الجومة بموت أشجار السلبيليات ؛ فسألها عن الحل الذي يضع حدا لهذه المشكلة ، فردت عليه مشيرة لقبر زوجها لـ " يبدي بو قاسم رأيه " (إسماعيل2017، ، 133) فهو الملهم لها ، ودليلها حيا وميتا حاضرا وغائبا ، بعد أن " دأبت أم قاسم على تخصيص ساعة الصباح الأولى لخلوة مع بو قاسم تبادله حديثها " (إسماعيل ،2017، 140) لتبدو كمن يتلقى تعليماته وتوجيهاته وإرشاداته صباح كل يوم من سيده ليتابع بعد هذا تنفيذها ، وانجازها واحدة بعد الأخرى وعلى النحو المطلوب ، مؤكدة هذا في مناسبة أخرى حين افتقدها الجنود ذات مرة ، ولم يجدوها قرب ملجئها الذي أقامته بجوار مقام سيد رجب "هل ستقضين ليلتك هنا . لا تجزم لماذا أشارت ناحية القبر . لا أعرف عن قرار بو قاسم " (إسماعيل، 2017 ، 140) لتفي بنفسها عن نفسها القدرة على التفكير والتدبير والتنفيذ ، وتسمح للنسق المضمر بتمرير دلالاته القبحية .

8- المنام الثامن والتحذير من القصف المفجع :

لم يتأخر رد بو قاسم على إشارتها لقبره بعد أن سألها أحد الجنود عما إذا ستبيت ليلتها تحت سقف منزلها ؛ بوصفه عليما بأحوالها وكل ما سيجري لها ؛ إذ سرعان ما زارها في تلك الليلة ، وأظهر في منامها انزعاجه من نيتها البقاء في البيت ، بدلا من المبيت في الملجأ الذي أقامته بجوار قبر سيد رجب ، محذرا إياها من وقوع أحداث مؤلمة ومفجعة ، ومن دون أن يكشف المزيد من التفاصيل " أجابها بو قاسم عاتبا، لا أظنك باقية تحت هذا العريش حتى الليل. مهدت لتساؤلها بابتسامة محبة. هل أنت منزعج. واصلت. اضطررت

للبدء بإقامة عريش ثان عند مقام سيد رجب مخافة أن ..أبقت جملتها ناقصة . أنت لا تهتم إذا اشتد القصف . فاجأها ، وجه لها سؤالا لم يخطر لها. هل أنت جادة بمسألة زراعة الخضروات. آثرت أن تعمل على طمأنته. جنودنا لن يترددوا عن مد يد العون. خيل لها أنه منشغل الذهن. ملازم عبد الكرم نائب ضابط صادق أنابيب إسمنت. عاتبته. لا أفهم. عملكِ هذا كله.. أبقى جملته مفتوحة، سألته. ما الذي يزعجك. مجهود ضخم. لست وحدي. سارع نهض، ناشدته. أنت غاضب مني. شدها رده. أنا غاضب لأجلك . تعبيره بكيفية لا تفهمها. ماذا تعني. تتعبين نفسك. ضحكت، مد لها يده. تعالي. ناولته كفها، باغتها تلاشى من عندها. أين أنت. ليس من يسمع، وجدت نفسها جالسة وسط سريرها، إحساسها بتنمل كفها، هذا اليقين الحاضر بملمس يده، كان الوقت شأن أحلام سابقة ما بعد الفجر بقليل " (إسماعيل، 2017 ، 136) للتنويه بصدقها ، وتأكيد تحققها بعد أن أمر ملازم عبد الكريم بعض جنوده بوضع أنابيب اسمنتية في سد نهر سيد رجب ، وفي سد نهر الجومة ؛ ليمر الماء من خلالهما إلى قرية السبيليات (إسماعيل ، 2017 ، 137)

9-المنام التاسع وإثارة الحيرة والشك :

بعد استئناف القصف المتبادل بين الطرفين لاذت أم قاسم بالمبيت في الملجأ ، الذي أقامته قرب مقام سيد رجب ، وحين استوضح الملازم عبد الكريم منها أسباب ذلك ، أثارت الشك بردها حين قالت له " لن يحميني بيتي إذا اشتد القصف . ما أدراك سيشتد . ردت عن قناعة سيشتد . تساءل بدلالة الإحالة . هل أنبأك المرحوم بو قاسم بذلك . لا . سكتت وهلة ، ولكنه زارني البارحة كان حزينا على غير عادته ، سايرها ملازم عبد الكريم مبديا اهتماما ، ما سبب حزنه . لا أعرف استطردت لكنه غادر متعجلا حاملا فأس جارنا عبود الأطرش. لم يخف ملازم عبد الكريم امتعاضه ...قال لها باقتضاب أريد أن أراك في الموقع بعد ساعة " (إسماعيل ، 2017، 134) لتجد نفسها وسط أمواج عنيفة من غضب الملازم ، وشكوكه بما تخيفه عنهم من علمها بما سيقع لهم في الأيام القادمة ، وهو يقول لها " ما سر التوقيت بين ظهور زوجك في الحلم كما تزعمين وبين أعمال تخريبية لا يقدم عليها إلا ..." (إسماعيل،2017 ، 134) من دون أن يكمل كلامه بوصف من يقف وراء تخريب السدود بأوصاف جارحة ، متوعدا إياها بالأبعاد عن السبيليات إذا ما تبين له حدوث تخريب جديد للسدود الترابية ، ولم يخطر بباله أن زوجها بو قاسم هو من ألهمها ذلك التحذير ، وجعلها تبدو في نظر الملازم امرأة تابعة لجهات أخرى مشبوهة ، وأنها تحاول التمويه على ذلك تحت ستار الرغبة في بث الحياة من جديد في قرية السبيليات ، من خلال إعادة جريان الماء في نهر سيد رجب ، ونهر الجومة ، وأن فلتات لسانها هي من أثارت الشكوك من حولها ، وفتحت باب احتمال تواطؤها مع العدو بحسب رأيهم.

10-المنام العاشر ووقوع الفاجعة :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لم تطل فرحة أم قاسم بمساعدة الجنود في حراثة البستان ، ورؤيتها بعد أسبوع عودة الحياة له من جديد ، بتفتح أزهار الجوري وبراعم بذور بعض النباتات ، فضلا عن نجاح فكرة الجندي جاسم إقامة المدبسة لاستثمار فائض التمر ؛ وذلك بسبب تحقق نبوءة بو قاسم التي انطوت على نسق مضمر أكّد مرة أخرى ، علمه بالمستقبل مقابل جهل أم قاسم بذلك ، وارتهان علمها بما يخبرها به ؛ وإقرارها صراحة باعتمادها عليه ، ولجوئها إليه كلما واجهت لها مشكلة ، وعجزت عن فهمها ، ومعرفة المخرج منها ، وكيفية تخطيها ؛ إذ تعرضت القرية إلى قصف مباغت تسبب في بتر يد الجندي جاسم صاحب فكرة إقامة المدبسة ، واستشهاد رفيقه ، وظهور علامات الحزن على هيأته ، وعجز أم قاسم عن فهمها تلك العلامات وتأويلها قبل تحققها " يا بو قاسم، ليس لدي من أكاشفه بآلامي سواك، مفجع أن يقتل أحد الجنود الشباب وهو نائم، لا أظنك ستقول، سهوا من غير علمه ، أو إنه لم يتألم حين واجه الموت، لا أدري، لم أعرف ذلك الشاب عن قرب، عرفت اسمه بعد استشهاده عدنان، من أهالي سامراء، جمعوا طشاره داخل كيس، قد لا تصدقني، الذي حز في قلبي أن تبتر كف جاسم، ليغادرنا إلى لا أعرف أين، تدري عنه إنه استأذنني ينادني يا أمي، وتدري عني كنت فرحة بولدي الرابع، هدية لا تقدر بثمن ...يابو قاسم هل أفرح قليلا ...جاسم مازال حيا ، أم أحزن لأنه صار معاقا في يده " (إسماعيل ، 2017، 143-144) لتفتح بهذه الأسئلة السرد نحو انتظار الرد من بو قاسم مرة أخرى ، وتعزز هيمنة النسق الذكوري على خطاب الرواية ، وتسلله تحت عباءة الجمالي ، بارتهان حاضرها ومستقبلها بما يمليه عليها الغائب الحاضر ، وترسيخ الدلالة المضمرة للثقافة الذكورية التي رأت أن المرأة الحقيقية لا تثبت ذاتها بالإبداع الفكري ، وإنما بالأمومة وإعانة زوجها (ينظر دالي، 2005 ،219) بعد أن ترجمت أم قاسم هذا بفرحها بنداء الجندي جاسم لها بـ يا " أمي " ليكون من بعد هذا النداء ابنها الرابع طبقا لشعورها تجاهه .

11-المنام الحادي عشر ونبوءة عودة الغائب المنتظر :

بعد إصابة جاسم الجندي بالقصف المباغت الذي تسبب في بتر كفه ، وإخلائه بعيدا عن قرية السبيليات ، لم يكن بوسع أم قاسم سوى السعي نحو معرفة مصيره ؛ بعد أن قبلت له أن يناديها بـ " يا أمي " إذ أيقظ فيها بهذا النداء مشاعر الأمومة الخالصة تجاهه ، فالنساء يردن أولا وبالأساس أن يكن رفيقات نسائيات للرجال وأمهات (ينظر ويزتين، 2005 ، 155) ولم تجد كعادتها سوى زوجها بو قاسم ؛ بوصفه الغائب الحاضر ، والعالم والعارف بما غاب عنها وخفي طبقا لثوابت الثقافة الذكورية ، التي قصرت الدور الرسالي عليه ، وخصت به الذكور فقط ؛ فمن " شروط النبوة الذكورة وكمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي " (التفتازاني ،1981، ج 2، 198) ليأتيها الجواب في منام جديد ، ويبلغها صراحة بنبأ عودته قريبا على الرغم من استغرابها سبب العودة " كانا جالسين متقابلين فوق حصير نسل أمام العريش عند مقام سيد رجب ،

تنبه لشتلات الجوري ، أبدى ملاحظته ، هي ذات الصنف المزروع عند قبري ، لم تتأخر توضيحها ، مبادرة من ابني الرابع ، مادام هو الذي زرعها ...سكت وهلة ، أكمل بحس الثقة . سيعود كي يتفقدها ، تملكها استغراب . من أين لك قناعتك هذه . من محبته لك . عاتبته . تقول كلاما غير مترابط . لكنه واصل . محبتك له أيضا . أنتَ تبالغ كثيرا . أفحمتها إجابتهُ . المحبة الخالصة لا تعرف المبالغة " (إسماعيل ، 2017 ، 143-144) الأمر الذي حملها على إشاعة خبر عودته بين رفاقه من الجنود ؛ من دون أن تترد بالكشف عن مصدر علمها بذلك ، وردها صراحة على رغبة رفيقه الذي تمنى أن يكون جاسم معهم في جني التمور ، وجمعها وتنظيفها ، وتهيئتها للمدبسة " بيقين . سيكون هنا . أخذت دهشته وجهه . هل قال لك ذلك . لا . لم يتخفف من دهشتهِ . كيف عرفتِ . حضرتها إجابتها . أخبرني بو قاسم . أضافتْ الموتى لا يكذبون . سمعتهُ يغمغم مع نفسه حائرا . لا أعرف . ليس ما يدعوكَ لأن تشكك . تأمل كلماتِها الأخيرة . عنّ له أن يسألها . متى يعود لن يتأخر كثيرا . تابعتْ . لم يشر بو قاسم ليوم محدد " (إسماعيل ، 2017، 145-146) مؤكدة بهذه الإجابة أن علمها تابع لعلم الغائب الحاضر ، وليس لها أن تعلم أكثر مما يعلمه هو !! وعلّمها إياه ؛ الأمر الذي حمل ملازم عبد الكريم على استدعائها ؛ للتحقق من صحة إشاعة رفعتها إلى مصاف الأولياء ؛ بعد أن تداول الجنود بينهم أن " أم قاسم تقرأ الغيب " فما كان لها إلا أن تكرر جوابها عن ذلك ، وتؤكد مرة أخرى من دون تردد بأن الغائب الحاضر زوجها بو قاسم هو الذي أخبرها بذلك !! فسألها الملازم عبد الكريم " ماذا لو لم يعد لشهر قادم ...إن كان ما قاله بو قاسم كذبا غادرتكم نحو النجف " (إسماعيل ،2017 ، 147) في تحد كبير لخبرته بأحكام الخدمة العسكرية ، التي توجب إعفاء الجندي المعاق من الاستمرار في الخدمة العسكرية ، ممهلا إياها مدة شهر واحد ؛ لمعرفة من منهما سيكسب الرهان ، هي بعودة جاسم ، أم هو بإعفاء جاسم من الخدمة .

12- المنام الثاني عشر (المنام الأخير وكسب رهان التحدي) :

لم يخطر ببال أم قاسم ما سيلحق بها من حرج وضيق وتهديد ؛ جراء إشاعة ما أخبرها به زوجها الغائب الحاضر عن قرب عودة الجندي جاسم إلى وحدته العسكرية ، على الرغم من بتر كف يده اليسرى ، ؛ فبعد أن أخبرتهم بأنه سيعود بعد شهر ، وأخذت الأيام تتلاشى من دون أن يلوح في الأفق ما يرجح صدق ذلك ، وجدت نفسها مهددة بخسارة الرهان ، وخسارة السماح لها بالبقاء في قرية السلبيليات بعد أن وافق الجميع على بقائها ، وعدم إرغامها على الرحيل ، ولم يبق أمامها سوى اللواذ - كعادتها - بزوجها الغائب الحاضر ؛ لتسأله عن المخرج من هذه الورطة التي أقحمها فيها ؛ بوصفه العالم العارف ، إذ توجهت نحو قبره وراحت تحاوره " يا بو قاسم، أين الخطأ، بي، بك، أم بالآخرين، يقال عن فلان نيته صافية، أجزم بأن نيتي صافية جدا، لم أبيت شرا لأحد أو تراودني فكرة الإضرار بأحد، كل الذي أردته أن نكون أنا وأنت هنا، على الرغم

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

من الرعاية التي حفني بها أولادنا إلا أن حنيني لهنا اضطرني لتحمل مشقة الطريق، الأخطار المحدقة، مهددة بين لحظة وأخرى بالطرد، حتى إذا ما توفرت لي فرصة البقاء بقبول من الجميع حدث أمر تعرفه لأنك شريك فيه. "(إسماعيل ،2017 ، 150) فما كان لرده أن يتأخر عنها ، وإنْ " لم يعد يتراءى لها بين الليلة والليلة شأن حال سابقة ، نومها النادر ...خال من أيما أحلام " (إسماعيل ، 2017 ، 153) فضلا عن اختلافه عن المنامات السابقة بعد أن عرّض في هذا المنام الأخير بلومه لها على تحديها لهم ، وتحسسها المفرط " أنت امرأة حساسة زيادة عن اللزوم. ... يتوجب علينا أن لا نتعامل مع جماعتنا بمنطق التحدي. تملكتها دهشتها. أين هو منطق التحدي. تذكري وعدك إن لم يعد جندي جاسم خلال شهر.. سكت لحظات. تآلفنا وإياهم يقتضينا أن نتفهمهم. "(إسماعيل، 2017 ، 151) قاصدا بهذا أن تحديها لهم لم يكن لائقا مقابل ما قدموه لها طيلة مدة بقائها معهم ، فضلا عما سيسببه من خدش لمشاعر الملازم عبد الكريم وإحراج له أمام جنوده ؛ لأن تحدي سلطة الرجل في الثقافة الذكورية أمر خطير ، يندرج في باب العصيان الموجب لإثارة غضبه ، والأفضل للمرأة الخضوع لمطالبه بدلا من مناوءته (ينظر جلبرت، 2005 ، 96) ما جعلها تتجه نحو قبره لتحاوره للمرة الأخيرة ، قبل تحقق نبوءته بعودة الجندي جاسم ، وترسيخ النسق المضمر الذي وشي بتبعيتها له في كل ما جرى لها ، طيلة مدة بقائها في قرية السبيليات ، وما قامت به في أثناء تلك المدة من أعمال ، بدت في الظاهر أنها من تخطيطها وتدبيرها ، وحسن صنيعها ، وليس من تدبيره وحسن صنيعه كما هو حاصل فعلا ؛ إذ قالت له " يعتصرك ألمك من داخلك أشبه بقبضة حديدية تنفرد بأحشائك يا بو قاسم، لا أدري كيف تفكر، وإذا شئت أن أكون صادقة معك حقيقة قلت لك، أنا التي لا تعرف كيف تفكر لنفسها،... أنت من قال سيعود. كانت تجلس القرفصاء بمواجهة القبر. ليتك تتفهمني، خذني بصراحتي ولو بدت مزعجة لك... ما جرى بعد ذلك تعرفه كله، ما لا تعرفه.. لم تكمل جملتها، زفرت بألم لن أنبش قبرك ثانية، لن أحملك معي في رحلة العودة. شرد ذهنها لثوان. ما بعد تصريحك بعودة جندي جاسم لم تزرني في المنام، لا أريد معاتبتك لكني أصارحك، قلبي يحدثني، قبرك هذا هو مكانك الأنسب. لا تغضب أو تعتب...أنت تعرف ما انتهيتُ اليه "(إسماعيل، 2017 ، 154-155) ولم تفرغ من عتابها له حتى حدث ما أكّد صحة نبوءة زوجها الغائب الحاضر ؛ إذ جاءها نائب ضابط صادق ليبلغها اعتذار الملازم عبد الكريم عن تأنيبه القاسي لها ، بعد أن كسبت رهان عودة الجندي جاسم قبل انقضاء مدة الشهر التي كانت موعدا بينهما ، ثم أعقب هذا وصول الجندي جاسم إلى بيتها ، ليطلب منها استئناف العمل في المدبسة ؛ فردّت عليه " كنا بانتظار عودتكَ ، هبتْ واقفة ، بإمكاننا متابعة عملنا " (إسماعيل ، 2017، 154-155) ، لتمرر تحت هذه النهاية الجميلة مرة أخرى الدلالة المضمرة التي أكّدت أنها لم تكن قادرة على إصلاح ما خربته الحرب قرية السبيليات من دون حضور الجندي جاسم بوصفه ممثلا للثقافة الذكورية التي جعلت منه ومن أبناء جنسه صناعا للحضارة ؛ بعد

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أن أقرت أم قاسم بانهيار عزيمتها في أعقاب غياب الجندي جاسم بعد بتر كف يده اليسرى ، وعزوفها عن زيارة بستان أم البرحي ، امتثالا لثوابت الثقافة الذكورية التي رهنت رفع قيمة المرأة ومكانتها بوجود الرجل بجوارها ؛ فهي " بدون رجل تعد فاشلة "(جلبرت، 2005 ، 94) وليس بوسعها أن تحقق ما تطمح إليه.

النتائج :

1-لقد وقعت رواية السبيليات لإسماعيل فهد إسماعيل فيما أرادت أن تتحرر منه ، ونعني بهذا انطواء خطابها على أنساق ثقافية ، عملت على تمرير دلالات مضمرة أكدت في مجملها الامتثال لثوابت الثقافة الذكورية ، في تمثيل صورة المرأة من خلال وصم أم قاسم بالعجز تارة ، وقصور الفهم والحيرة أمام تأويل المنامات تارة أخرى ، وتأكيد نفي الفهم والمعرفة والدراية عن نفسها ، بعد أن ألحت أم قاسم في اثني عشر مناما !! على مطالبة بو قاسم بتوضيح مراده ، وبيان قصده بإشاراته ، مرسخة بهذا " نقصان عقلها " وتدني قدراتها الذهنية ، فضلا عن تأكيد تبعيتها له ، بجعل الغائب حاضرا بزياراته المستمرة لها ، ليكون مُعلِّما ، ومُرشدا ، ومُنبئاً لا يكذب في كل ما رآه .

2- إن النسق الثقافي الآخر الذي مررت من تحته أكثر الدلالات خطورة في رواية السبيليات تمثل في حرص أم قاسم على تقليد الرجل بوصفها المخلوق " الأضعف " و "الأدنى " الذي ينبغي به اللحاق بالمخلوق " الأقوى " و الأعلى " ؛ لأن كل ما قامت به أم قاسم لم يكن من أعمالها ، ولا من تدبيرها ، ولا من تفكيرها ، وإنما كان من أعمال الرجال ووظائفهم ؛ فكانت في النهاية "رجلا ناقصا " أو " رجلا متنكرا " ورسخت نموذج الذكورة بوصفه معيارا للمفاضلة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم
2. إسماعيل ، فهد إسماعيل ، السبيليات ، نوفا بلس للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2017.
3. ألدا، آلان ، ما يجب أن تعرفه كل امرأة عن الرجال ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
4. بروب ، فلاديمير ، مورفولوجيا الحكاية الخرافية ، ، ترجمة وتقديم ، أبو بكر أحمد باقادر ، أحمد عبد الرحيم نصر ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط1 ، 1989.
5. التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، شرح المقاصد في علم الكلام ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، 1981 .
6. الجاحظ ، عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965 .
7. جامبل ، سارة ، النسوية وما بعد النسوية ، تر هدى الصدة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 .

8. جلبرت ، لوسي و بولا وبستر ، مخاطر الأنوثة ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
9. الخليل ، د.سمير ، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب ، دار الجواهري ، ط 1، 2012 .
10. دالي ، ماري ، أشكرك يارب ...لأنك لم تخلقني امرأة ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
11. الدنيا ، الحافظ ابن أبي ، المنامات ، تح مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ط1 ، 1988.
12. دي بوفوار ، سيمون ، المرأة باعتبارها الآخر ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
13. ديلومو ، جان ، الغرب والخوف من المرأة ، ضمن كتاب نقد مجتمع الذكور، ترجمة هنريت عبودي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1، 1982.
14. روزنبرج ، هارولد ، الرجولة ..أسلوب وسلوك ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
15. سايزر ، دوروثي ، هل النساء بشر ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
16. السيد ، منى شعبان ، أ.م.د. سعد داحس ، توظيف الحيوان في الرواية العربية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة واسط ، 2021 .
17. شرابي ، د. هشام ، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي ، ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ترجمة محمود شريح ، بيروت ، ط2 ، 1993 .
18. الشيرازي ، محمد الحسيني ، الرؤيا في الإسلام ، مطبعة النجف ، ط1 ، 2006
19. الغذامي ، عبد الله محمد ، النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 2005.
20. فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن ، دار الملاك ، بيروت ، ط1 ، 2007 .
21. موريس ، بام ، الأدب والنسوية ، تر سهام عبد السلام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2002.
22. وولف ، فرجينيا ، غرفة تخص المرء وحده ، تر سمية رمضان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1999.
23. ويزتين ، ناعومي ، علم النفس .. ونظرة إلى الانثى ، ضمن كتاب النوع – الذكر والانثى بين التميز والاختلاف ، تحرير إيفيلين آشتون – جونز جاري – أ. أولسون ، تر محمد قدري عمارة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2005.

References

1- The Holy Qur'an
2- Ismail, Fahd Ismail, *Al-Sabīliyāt*, Nova Plus for Publishing and Distribution, 2nd edition, 2017.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3- Alan , *What Every Woman Should Know About Men*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

4- Propp , Vladimir, *Morphology of the Folktale*, trans. and intro. Abu Bakr Ahmed Baqadir, Ahmed Abdul Rahim Nasr, Jeddah Literary and Cultural Club, 1st edition, 1989.

5- Al-Taftazani, Saad al-Din Masoud ibn Umar ibn Abdullah, *Sharh al-Maqasid fi Ilm al-Kalam*, Dar al-Ma'arif al-Nu'maniyah, Pakistan, 1981.

6- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr al-Jahiz, *Al-Hayawan*, ed. Abdul Salam Muhammad Harun, Mustafa al-Babi al-Halabi Library, Egypt, 2nd edition, 1965.

7- Gambl ,Sarah *Feminism and Postfeminism* , trans Hoda Al- Sadda & Ahmed AL- Shami, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2002.

8- 9. Al-Khalil, Dr. Samir, Cultural Criticism from Literary Text to Discourse, Dar Al-Jawahiri, 1st ed., 2012.

9- Gilbert, Lucy & Paula Webster, *The Dangers of Femininity*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

10- 8. Dali, Mary, *thank you Lord...that you did not create me a woman*. ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

11- 8. Al-Dunya, Al-Hafiz Ibn Abi, *Dreams*, edited by Magdy Al-Sayed Ibrahim, Quran Library, Cairo, 1st ed., 1988.

12- De Beauvoir, Simone, *Woman as the Other*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

13- Delumeau, Jean, *The West and the Fear of Women*, in: *Critique of Male Society*, trans. Henriette Abboudi, Dar al-Tali'a, Beirut, 1st edition, 1982.

14- , Rosenberg, Harold*, Masculinity… Style and Behavior*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

15- Sayers, Dorothy, *Are Women Human?*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2005.

16- Al-Sayyid , Mona Shaaban & Asst. Prof. Dr. Saad Dahes, *The Use of Animals in the Arabic Novel*, Master's Thesis, College of Arts, Wasit University, 2021.

17- Sharabi, Dr. Hisham, *The Patriarchal System and the Problem of Arab Society's Backwardness*, Center for Arab Unity Studies, trans. Mahmoud Shurayh, Beirut, 2nd edition, 1993.

18- Al-Shirazi, Muhammad Al-Husseini, *Visions in Islam*, Al-Najaf Press, 1st edition, 2006.

19- Al-Ghadhami, Abdullah Muhammad, *Cultural Criticism*, Arab Cultural Center, 3rd edition, 2005.

20- Fadlallah, Muhammad Hussein, *From the Inspiration of the Qur'an*, Dar Al-Malak, Beirut, 1st edition, 2007.

21- Morris, Pam, *Literature and Feminism*, trans. Siham Abdul Salam, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2002.

22- . Woolf, Virginia, A Room of One's Own, Samia RamadanAlda , Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition ,1999.

Weisstein , Naomi, , *Psychology… and the View of Women*, in: *Gender – Male and Female Between Distinction and Difference*, ed. Evelyn Ashton, Jones Gary, A. Olson, trans. Muhammad Qadri Amara, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st editio

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية